

بسم الله الرحمن الرحيم

# شرح الأصول الثلاثة

للإمام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله تعالى

بقلم الشيخ  
سليمان بن محمد الهميد  
السعودية / رحاء  
الموقع على الانترنت

[www.almotaqeen.net](http://www.almotaqeen.net)

القناة العلمية على التلجرام

<https://t.me/aloheemeed>

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فهذا شرح ( للأصول الثلاثة ) للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

أسأل الله أن يبيينا على التوحيد ، وأن يميئتنا على التوحيد

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

بقلم

سليمان بن محمد اللهيبيد

## ترجمة موجزة للمؤلف

شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى .

هو العلامة المجدد الإمام ، شيخ الإسلام ، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الوهبي التميمي .

ولد هذا العالم في بلدة العيننة سنة ( ١١١٥ هـ ) .

حفظ القرآن الكريم دون بلوغ عشر سنين ، وكانت له مشاركة في فنون كثيرة في التفسير والحديث ، والعقيدة والفقہ ، والوعظ .

وكان الشيخ . رحمه الله . قد وهبه الله فهماً ثاقباً وقدرة على الحفظ وصبراً على القراءة والتحصيل .

له مؤلفات نافعة منها :

كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد .

وأصول الإيمان .

والأصول الثلاثة .

ومختصر زاد المعاد .

ومختصر الإنصاف .

وكشف الشبهات ، وغيرها كثير .

مات رحمه الله تعالى في أواخر سنة ( ١٢٠٦ هـ ) عن إحدى وتسعين سنة قضاه في ميدان العلم والجهاد والدعوة فرحمه الله رحمة

واسعة ، وأجزل له الأجر والمثوبة .

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

م / ( بسم الله الرحمن الرحيم ) .

=====

معنى (بسم الله) أي: أبتدئ عملي مستعينا بالله ، ملتئما بالبركة بالبداة باسمه سبحانه .

ففي جملة ( بسم الله ) محذوف تقديره : أبتدئ عملي باسم الله ، فالبسمة قبل القراءة تعني : باسم الله أقرأ ، والبسمة قبل الكتابة تعني : باسم الله أكتب ، وكذلك باسم الله أركب ، باسم الله أكل ونحو ذلك .

وابتدأ المؤلف كتابه بالبسمة اقتداء بكتاب الله عز وجل ، وتأسياً بالنبي ﷺ ومراسلاته مثل : ( كتاب النبي ﷺ إلى هرقل وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ) .

وعملاً بحديث ( كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبت ) رواه الخطيب في الجامع وضعفه الألباني . وفي رواية (أقطع) والمعنى : أنه ناقص البركة .

( الله ) هو علم على الباري جل وعلا ولا يسمى به غيره .

ومعناه : المألوه : أي المعبود محبة وتعظيماً .

( الرحمن ) اسم من أسماء الله المختصة به ، لا يطلق على غيره .

والرحمن معناه : المتصف بالرحمة الواسعة ، لأن ( فعلان ) في اللغة العربية تدل على السعة والامتلاء ، كما يقال : رجل غضبان إذا امتلأ غضباً .

( الرحيم ) المراد به ذو الرحمة الواسعة .

وإذا جمعاً . الرحمن الرحيم . صار المراد بالرحمن : الموصوف بالرحمة الواسعة ، والمراد بالرحيم : الموصل رحمته من يشاء من عباده . واقتصر المؤلف على البسمة لأنها أبلغ الثناء والذكر .

قال ابن القيم رحمه الله: الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله "وكان بالمؤمنين رحيماً" وقوله "إنه بهم رؤوف رحيم" ولم يجئ قط (رحمن بهم) فعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته.

فائدة :

قد صحح الحديث ( كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبت ) جماعة من العلماء كابن دقيق العيد ، وابن الملحق ، وحسنه النووي ، وحسنه الحافظ ابن حجر نقله عنه في "الفتوحات الربانية" .

فإن صح الحديث في استحباب ذلك: فالأمر واضح .

وإن كان ضعيفاً ، فقد ذهب إلى العمل به أكثر العلماء ، وذكروا أن التسمية مشروعة في كل عمل مهم .

والحديث معناه مقبول ومعمول به فقد افتتح الله تعالى كتابه بالبسمة ، وافتتح سليمان ﷺ كتابه إلى ملكة سبأ بالبسمة، قال تعالى ( إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ) ، وافتتح النبي ﷺ كتابه إلى هرقل بالبسمة ، وكان ﷺ يفتتح خطبه بحمد الله والثناء عليه .

جاء في فتح الباري : أَنَّ الْبِسْمَلَةَ لِلْكَتُبِ وَالْوَثَائِقِ وَالرَّسَائِلِ ، كَمَا فِي كُتُبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُلُوكِ وَمَا كَتَبَهُ فِي صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ ، وَأَنَّ الْحَمْدَ لِلْحُطْبِ " انتهى .

وقال القرطبي رحمه الله : اتَّقُوا عَلَى كَتَبِ " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ " فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ .

جاء في ( الموسوعة الفقهية ) اتفق أكثر الفقهاء على أن التسمية مشروعة لكل أمر ذي بال، عبادة أو غيرها . انتهى .  
ومما يدل على مشروعيتها واستحبابها:

إرشاد الشرع إليها في أمور كثيرة، من عبادات وعادات، مما يفهم أن الشروع في أي عمل أو قول مباح ذي بال هو محل لاستحباب التسمية.

ومما استدلوا به على تأكيد هذا العموم في جميع الأحوال الهامة :

حديث ابن عباس، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ( لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنَّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنَّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ ) متفق عليه .

وبؤب عليه البخاري رحمه الله تعالى بقوله: " بَابُ التَّسْمِيَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَعِنْدَ الْوِقَاعِ " .

وعلق عليه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى؛ بقوله وليس العموم ظاهراً من الحديث الذي أورده، لكن يستفاد من باب الأولى؛ لأنه إذا شرع في حالة الجماع، وهي مما أمر فيه بالصمت؛ فغيره أولى . (الفتح)

وقال ابن بطال رحمه الله تعالى: وفيه: أن التسمية عند ابتداء كل عمل مستحبة، تبركاً بها واستشعاراً أن الله سبحانه هو الميسر لذلك العمل، والمعين عليه .

ومن المعلوم كذلك : أن العبد مأمور باستدامة توكله على الله تعالى والاستعانة به في شأنه كله .

والتسمية هي من صيغ الاستعانة التي جاءت بها نصوص الشرع عند الشروع في أي قول أو عمل ذي قيمة ، كما يدل عليه كلام ابن بطال السابق .

قال القرطبي رحمه الله تعالى : ندب الشرع إلى ذكر البسملة في أول كل فعل، كالأكل والشرب والنحر، والجماع والطهارة وركوب

البحر، وإلى غير ذلك من الأفعال، قال الله تعالى: ( فكلوا مما ذكر اسم الله عليه )، (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها).

وقال رسول الله ﷺ ( أغلق بابك، واذكر اسم الله، وأطفئ مصباحك، واذكر اسم الله، وخمر إناءك، واذكر اسم الله، وأوك سقاءك، واذكر اسم). وقال: (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا). وقال لعمر بن أبي سلمة: (يا غلام! سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك) وقال: (إن الشيطان ليستحل الطعام إلا أن يذكر اسم الله عليه) وقال: (من لم يذبح، فليذبح باسم الله). وشكا إليه عثمان بن أبي العاص وجعا يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: (ضع يدك على الذي يألم من جسدي، وقل: بسم الله ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) هذا كله ثابت في الصحيح... .

فائدة :

مواضع تشرع فيها البسملة :

عند علق الباب ليلاً .

عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ( إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ، أَوْ قَالَ: جُنِحَ اللَّيْلُ، فَكُفُّوا صَبِيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَحَلُّوهُمْ، وَأَعْلِقْ بِابْنِكَ وَادُّكِرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأَطْفِئْ مِصْبَاحَكَ وَادُّكِرِ اسْمَ اللَّهِ، وَأُوكِ سِقَاءَكَ وَادُّكِرِ اسْمَ اللَّهِ، وَخَمِّرْ إِنَاءَكَ وَادُّكِرِ اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ تَعَرَّضُ عَلَيْهِ شَيْئًا ) رواه البخاري .

عند المساء :

عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ( مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ ) رواه أحمد .

وعند ركو الدابة :

ففي حديث علي ( ... وَأَيُّ بَدَايَةِ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْوَكَابِ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ ... الْحَدِيثُ فِي آخِرِهِ قَالَ: رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَّ كَمَا فَعَلْتُ). رواه أبو داود

وعند الصيد :

عن عدي بن حاتم. قال: قال رسول الله ﷺ (إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله عليه فكل) متفق عليه.

وعند الأكل.

لحديث عمرو بن سلمة. قال (كنت غلاماً في حجر النبي ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحيفة فقال: يا غلام سم الله، وكل بيمينك ...). متفق عليه

وعند دخول المنزل :

لحديث جابر. أن رسول الله ﷺ قال (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء) رواه مسلم.

وعند الجماع .

لحديث ابن عباس. عن النبي ﷺ أنه قال (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ...). متفق عليه.

وعند الخروج من البيت.

لحديث أنس. قال: قال رسول الله ﷺ (إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له حينئذ: هديت وكفيت ...). رواه أبو داود.

وإذا عثر المرء أو عثرت دابته.

لحديث رجل قال (كنت رديف النبي ﷺ فغثر بالنبي ﷺ فقلت: تعس الشيطان، فقال النبي ﷺ : لا تقل تعس الشيطان، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاضم وقال: بقوتي صرعته، وإذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب) رواه أبو داود.

وعند وضع الميت في قبره.

لحديث ابن عمر (أن النبي ﷺ كان إذا وضع الميت في القبر قال: بسم الله، وعلى سنة رسول الله) رواه أبو داود.

م / ( اعلم رحمك الله ) .

=====

( اعلم ) فعل أمر مبني على السكون، من العلم، وهو حكم الذهن الجازم المطابق للواقع: أي كن متهيئاً لما يلقي إليك من العلوم.

( اعلم ) كلمة يؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة التي ينبغي للمتعلم أن يصغي إلى ما يلقي إليه منها .

وما قرره المؤلف هنا من أصول الدين حقيق بأن يهتم به غاية الاهتمام ويعتنى به أشد الاعتناء ويصغي إليه حقيقة الإصغاء .

( رحمك الله ) دعاء لك بالرحمة ، أي : غفر الله لك ما مضى ، ووفقك وعصمك فيما يستقبل وإذا قرنت الرحمة بالمغفرة ، فالمغفرة لما مضى ، والرحمة سؤال السلامة من ضرر الذنوب وشرها في المستقبل .

وكثيراً ما يجمع رحمه الله عندما يرشد الطالب بتقرير الأصول المهمة بينها وبين الدعاء له ، وهذا من حسن عنايته ونصحه وقصده الخير للمسلمين .

م / ( أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل ، الأولى : العلم وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة ) .

=====

أي يلزم كل فرد من أفراد المكلفين ، ذكراً أو أنثى ، حراً أو عبداً ، وهذه المسائل التي ذكرها المؤلف تشمل الدين كله فهي جديرة بالعناية لعظم نفعها .

( الأولى : العلم ) والعلم إذا أطلق فالمراد به العلم الشرعي الذي تفيد معرفته ما يجب على المكلف من أمر دينه .  
والعلم الشرعي على قسمين : فرض عين . وفرض كفاية .

وما ذكره رحمه الله : فهو فرض العين على الذكر والأنثى والحر والعبد أن يعرفه لا يعذر أحد بجهله .

وفي الحديث عن أنس . قال : قال رسول الله ﷺ ( طلب العلم فريضة على كل مسلم ) . رواه ابن ماجه

قال أحمد : يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه ، قيل له : مثل أي شيء : قال : الذي لا يسعه جهله صلاته وصيامه .

فائدة : ١

فضل العلم:

قال الله تعالى ( شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ) .

( شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ) شهد تعالى - وكفى به شهيداً- وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين (أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) أي: المتفرد بالإلهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلقه، والفقراء إليه، وهو الغني عما سواه كما قال تعالى (لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا).

(وَالْمَلَائِكَةُ) معطوفة على اسم الجلالة (الله) أي: وشهدت الملائكة أنه لا إله إلا هو .

(وَأُولُو الْعِلْمِ) أي: أن أصحاب العلم - الذين رزقهم الله العلم - يشهدون أيضاً بأنه لا إله إلا هو .

يشهدون بأقوالهم وبدعوتهم وبأعمالهم .

وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام .

قال القرطبي رحمه الله : هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء ، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء .

وقال ابن القيم: استشهد سبحانه بأولى العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده فقال (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ) وهذا يدل على فضل العلم وأهله .

وقال تعالى في شرف العلم لنبيه ﷺ ( وقل ربي زدني علماً ) .

قال القرطبي رحمه الله : فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم

وقال ابن القيم: وكفى بهذا شرفاً للعلم أن أمر نبيه أن يسأله المزيد منه .

وقال ابن حجر: واضح الدلالة في فضل العلم لأن الله تعالى لم يأمر نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا من العلم .

وقال السعدي: أمر تعالى نبيّه ﷺ أن يسأله زيادة العلم؛ فإنّ العلمَ خيرٌ، وكثرةُ الخيرِ مَطْلُوبَةٌ، وهي من الله، والطريقُ إليها الاجتهادُ والشوقُ للعلم، وسؤالُ الله والاستعانةُ به، والافتقارُ إليه في كلِّ وقتٍ.  
وقال تعالى ( إنما يخشى الله من عباده العلماء ) .

وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ) متفق عليه .  
قال الحافظ ابن حجر: يفقهه: أي يفهمه، ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين-أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع- فقد حرم الخير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ( من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ) رواه مسلم .  
ف قوله ( من سلك طريقاً ... ) . يحتمل: أن يراد به السلوك الحقيقي وهو المشي بالأقدام إلى مجالس العلم.  
ويحتمل: أن يشمل ما هو أهم من ذلك من سلوك الطريق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم، مثل حفظه ودراسته، ومطالعتة ومذاكرته، والتفهم له والتفكير فيه.

قوله ( سهل الله له طريقاً إلى الجنة ) يحتمل أموراً:  
منها: أن ييسر الله لطالب العلم العمل بمقتضى ذلك العلم إذا قصد بتعلمه وجه الله، فيجعله سبباً لهدايته والانتفاع به والعمل به، وذلك من طرق الجنة الموصلة إليها.

ومنها: أن الله تعالى ييسر لطالب العلم الذي يطلبه للعمل به علوماً آخر ينتفع بها، فيكون طريقاً موصلاً إلى الجنة، وهكذا كما قيل: من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

والسبب في تيسير طريق الجنة لطالب العلم، أن العلم يدل على الله من أقرب الطرق وأسهلها.  
وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ( من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر ) رواه أبو داود والترمذي .  
قوله ( وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ) .

قال ابن القيم: ووضع الملائكة أجنحتها له تواضعاً له وتوقيراً وإكراماً لما يحمله من ميراث النبوة.  
وقال الخطابي: وفي معنى وضعها أجنحتها ثلاثة أقوال:  
أحدها: أنه بسط الأجنحة. الثاني: أنه بمعنى التواضع تعظيماً لطالب العلم. الثالث: أنه المراد به النزول عند مجالس العلم وترك الطيران.

وقال ابن رجب : منهم من حمله على ظاهره، وأن المراد فرش الأجنحة وبسطها لطالب العلم لتحملهم عليها إلى مقاصدهم من الأرض التي يطلبون فيها العلم، وإعانة لهم على الطلب.  
ومنهم من فسر وضع الملائكة أجنحتها بالتواضع لهم، والخضوع لطالب العلم.  
ومنهم من فسر ذلك بأن الملائكة تحف بأجنحتها مجالس الذكر إلى السماء كما جاء ذلك صريحاً في الحديث، ولعل هذا القول أشبهه. (ابن رجب).

قال ابن القيم: فمن محبة الملائكة له وتعظيمه تضع أجنحتها له، لأنه طالب لما به حياة العالم ونجاته، ففيه شبه من الملائكة، وبينه وبينهم تناسب، فإن الملائكة أنصح خلق الله وأنفعهم لبني آدم... فإذا طلب العبد العلم فقد سعى في أعظم ما ينصح به عباد الله، فلذلك تحبه الملائكة وتعظمه.

وقوله ( وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء )

قال ابن رجب : السر في استغفار دواب الأرض للعلماء، هو أن العلماء يأمرون الناس بالإحسان إلى المخلوقات كلها، وإحسان قتل ما يجوز قتله أو ذبحه من الحيوانات، فيتعدى نفعهم إلى الحيوانات كلها، فلذلك يستغفرون لهم.

ويظهر فيه معنى آخر وهو أن سائر المخلوقات مطيعة لله، قانتة له مسبحة له غير عصاة الثقلين: الجن والإنس، فكل الخلق المطيعين لله يحيون أهل طاعته، فكيف به وهو يعرف الله ويعرف حقوقه وطاعته؟ فمن كانت هذه صفته، فإن الله يحبه ويزكيه ويثني عليه، ويأمر عباده من أهل السماء والأرض وسائر خلقه بمحبته والدعاء له.

وقوله ( وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ )

قال ابن القيم : هذا من أعظم المناقب لأهل العلم، فإن الأنبياء خير خلق الله، فورثتهم خير الخلق بعدهم.

وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليه، فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى الموروث، وهذا كما أنه ثابت في ميراث الدينار والدرهم، فكذلك هو في ميراث النبوة.

وفيه إرشاد وأمرٌ للأمة بطاعتهم واحترامهم وتعزيزهم وتوقيرهم وإجلالهم.

وفيه أن محبتهم من الدين، وبغضهم مناف للدين.

وفيه تنبيه للعلماء على سلوك هدي الأنبياء وطريقتهم في التبليغ، من الصبر والاحتمال ومقابلة إساءة الناس إليهم، والرفق بهم.

## فائدة : ٢

أن العلم ينقسم إلى علم نافع، وإلى علم غير نافع.

قال ابن رجب: وقد جاءت السنة بتقسيم العلم إلى نافع وإلى غير نافع، والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع، وسؤال العلم النافع. ففي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها).

وخرجه أهل السنن من وجوه متعددة عن النبي ﷺ وفي بعضها (ومن دعاء لا يسمع).

وفي بعضها (أعوذ بك من هؤلاء الأربعة).

وخرج النسائي من حديث جابر أن النبي ﷺ كان يقول (اللهم إني أسألك علماً نافعاً وأعوذ بك من علم لا ينفع).

وخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول (اللهم انفعني بما علمتني وعلمي ما ينفعني وزدني علماً).

وخرج النسائي من حديث أنس (أن النبي ﷺ كان يدعو: اللهم انفعني بما علمتني وعلمي ما ينفعني وارزقني علماً تنفعني به).

م / ( وهو معرفة الله ) .

=====

فسر العلم بأنه معرفة الله .

أي: أنه يجب على المسلم والمسلمة أن يعرف كل واحد ربه بذاته وصفاته وأفعاله، وأنه ( ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ) وأن يعرف العبد بأن الله تبارك وتعالى هو خالقه ورازقه والمتصرف في أمره ، بل وفي الكون كله ، وهو المستحق لأن يعبد وحده

دون سواه ، وكل عبادة صرفت لغيره فهي عبادة باطلة ، وأن يؤمن بأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى التي جاءت في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ .

فمن عرف الله عز وجل حق المعرفة ، وقدره حق قدره ، فأقام فرائضه ، وأدى الواجبات ، وامتنل المأمور ، واجتنب المنهي ، وأحل الحلال معتقداً حله ، وحرم الحرام معتقداً تحريمه ، وهو في كل ذلك يرجو رحمته ويخشى عقوبته طيلة حياته ، فهو المؤمن حقاً ، له من ربه مغفرة وأجر عظيم .

ولهذه المعرفة بابان واسعان :

أحدهما : النظر في مفعولاته .

الثاني : التفكير في آياته وتدبرها .

فالنوع الأول كقوله : ( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ... ) .

وقوله : ( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ) .

( ومعرفة نبيه ) أي تعرف نبيك وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي المكي ، معرفة تستلزم قبول ما جاء به من الهدى ودين الحق وتصديقه فيما أخبر وامتنال أمره فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وتحكيم شريعته .

قال تعالى : ( فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ) .

( وسيأتي تفاصيل هذا في الأصل الثالث من الأصول الثلاثة ) .

( ومعرفة دين الإسلام بالأدلة ) الإسلام : بالمعنى العام هو التبع لله بما شرع منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كما

ذكر الله ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل .

قال تعالى عن إبراهيم : ﴿ ربنا وجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ .

والإسلام : بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بعث به محمد ﷺ ، لأن ما بعث به النبي ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة ، فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم .

وهذا الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله .

قال تعالى ( إن الدين عند الله الإسلام ) .

وهذا الإسلام هو الدين الذي امتن الله به على محمد ﷺ وأتمته .

قال تعالى ( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ) .

( بالأدلة ) أي معرفة دين الإسلام الذي تعبد الله الخلق به بالأدلة من الكتاب والسنة .

والأدلة : جمع دليل ، والدليل هو : ما يوصل به إلى المطلوب .

وفيه إشارة إلى أنه لا يصلح فيه التقليد .

والتقليد هو : اتباع من ليس قوله حجة . ليخرج بذلك اتباع الرسول ﷺ فليس تقليداً أنه اتباع للحجة وكذا اتباع أهل الإجماع لأن الإجماع حجة .

قال أبو عمر بن عبد البر وغيره : أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم ، وأن معرفة الحق بدليله .

قال ابن القيم : وهذا كما قال أبو عمر فإن الناس لا يختلفون في أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن دليل ، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد .

م / ( الثانية العمل به ) .

فالعلم هو : ثمرة العلم ، والعلم مقصود لغيره بمنزلة الشجرة ، فلا بد مع العلم بدين الإسلام من العمل به ، فإن الذي معه علم ولا يعمل به شر من الجاهل .

واعلم أنه لا خير في علم لا يقترن بعمل مخلص متابع الرسول ﷺ في عباداته ومعاملاته وأخلاقه وسائر شئون حياته ، وذلك بأن يؤدي حق وحق العبيد .

واعلم أن العلم إن وجد لنفسه داراً مكث وإلا رحل عنك ، ودار العلم العمل ، والعلم لا يثبت إلا بالعمل .

قال علي بن أبي طالب ﷺ : هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل .

وقال بعض السلف : من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم .

ولذلك كان علماء السلف في الماضي والحاضر هم القمة ، لأنهم عملوا بما علموا في كل وقت ومكان في الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك .

كان السلف ﷺ يتعلمون خمس أو عشر آيات ويعملون بمقتضاها ثم يحفظون غيرها .

وقد ألف الخطيب البغدادي رسالة لطيفة سماها : العلم يقتضي العمل ، فحذار أن تتشبه باليهود والنصارى ، فاليهود يعملون ولا يعملون ، والنصارى يعملون بلا علم ، فاليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : من انخرق من العلماء من أمة محمد ﷺ ولم يعمل بعلمه ففيه شبه من اليهود ، ومن انخرق من العباد وعبد الله على جهل ففيه شبه من النصارى .

والرسول ﷺ يقول : ( لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، ... ) . رواه الترمذي

فاحذر يا أخي أن تكون قدوة سيئة بتركك للعمل ، فهذا ابن القيم يعتصر قلبه حزناً من ظاهرة التناقض فيقول في كتابه الفوائد: (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون الناس إليها بأقوالهم ويدعون إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أفواههم للناس هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق).

### نماذج مشرقة في تطبيق العمل بالعلم :

عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ عن أبيه : أن رسول الله ﷺ قال : ( نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل ) قال سالم : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلاً ) رواه البخاري ومسلم .

ولما علم النبي ﷺ علياً وفاطمة : أن يسبحا ثلاثاً وثلاثين ويحمدا ثلاثاً وثلاثين ويكبرا أربعاً وثلاثين وقال : ( فهو خير لكما من خادم ) .

قال علي ﷺ : ما تركته منذ سمعته من النبي ﷺ ، قيل له : ولا ليلة صفين ؟ قال : ولا ليلة صفين . رواه مسلم

عن ابن عمر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : ( ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه ؛ بيت ثلاث ليالٍ إلا ووصيته مكتوبة ) قال عبد الله بن عمر ﷺ : ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي . رواه مسلم

وروى مسلم في صحيحه : ... من طريق النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عَنِّي بِنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِحَدِيثٍ يُتَسَاءَرُ إِلَيْهِ قَالَ سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ( مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ ) .

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَقَالَ عَنبَسَةُ فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمَّ حَبِيبَةَ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنبَسَةَ.

وَقَالَ النَّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرُو بْنِ أَوْسٍ

قال البخاري : ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة حرام ، إني لأرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً .

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( من قرأ آية الكرسي عقب كل صلاة ، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت ) .

قال ابن القيم - رحمه الله - : بلغني عن شيخ الإسلام أنه قال : ما تركتها عقب كل صلاة إلا نسياناً أو نحوه .

قال الإمام أحمد بن حنبل : ما كتبت حديثاً إلا قد عملت به حتى مرَّ بي أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبي طيبة ديناراً فاحتجمت وأعطيت الحجام ديناراً .

ولذلك نجد كتب المصطلح إذا ذكرت آداب طالب الحديث تذكر منها ( أدب التمسك بالسنن والعمل بها ) .

قال العلامة السيوطي في التدريب : ينبغي أن يستعمل ما يسمعه من أحاديث العبادات والآداب وفضائل الأعمال فذلك زكاة الحديث وسبب حفظه .

ولهذا كان الحرص عند السلف على التمسك بالسنة والعمل بها شيء كبير ومهم .

وكان وكيع - أحد كبار المحدثين - يقول : إذا أردت أن تحفظ حديثاً فاعمل به .

وكان الإمام المحدث إبراهيم بن إسماعيل يقول : كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به .

م / ( الثالثة : الدعوة إلى الله ) .

=====

فإذا حصل له بتوفيق الله العلم بدين الإسلام والعمل به ، فيجب عليه السعي في الدعوة إليه كما هي طريقة الرسل وأتباعهم .

قال تعالى ( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ... ) .

وأعلى مراتب العلم : الدعوة إلى الله ونفي الشرك والفساد ، فإنه ما من نبي يبعث إلى قومه إلا ويدعوهم إلى طاعة الله وإفراده بالعبادة ، وينهاهم عن الشرك ووسائله وذرائعه .

قال تعالى ( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ) .

فائدة : ١

فضل الدعوة إلى الله والدلالة على الخير :

أولاً: أن له مثل أجر فاعله.

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ) رواه مسلم .

ولحديث (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ... ) .

ثانياً: استجابة لأمر الله .

لقوله تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ).

ثالثاً: استجابة لأمر الرسول ﷺ بالتبليغ .

قال ﷺ (بلغوا عني ولو آية) رواه البخاري .

رابعاً: أنها سبب للفوز بدعوة النبي ﷺ :

حيث قال ﷺ (نضر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن.  
خامساً : سبب للفلاح.

قال تعالى (وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).  
سادساً : أنها أفضل الأعمال وأحسن الأقوال.

قال تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا).

قال السعدي: هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولاً. أي: كلاماً وطريقة، وحالة (من دعا إلى الله) بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيلحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصاً من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه والتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

سابعاً : الدعوة إلى الخير مهمة سيد البشر.

قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا).

ثامناً : الداعية ينجو من عقوبة الدنيا بالظالمين.

قال تعالى (فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ).

تاسعاً : أنها سبب للفوز بخيرية الأمة.

قال تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ).

قال ابن كثير: فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله (كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ).

عاشرًا : أن فيها تهذيب للنفوس وتركيبها لها.

كما قال تعالى في الحكمة من إرسال نبيه ﷺ (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ...).

إذن يجب أن نعلم أن من أعظم واجبات الدعاة تركية النفوس وتربيتها على المعاني الإيمانية والتربوية التي جاءت في الشريعة الإسلامية.

فائدة : ٢

ثمرات الدعوة والدلالة على الخير:

أولاً: تحقيق الحكمة والغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، وهي عبادته وحده لا شريك له ومعرفته بأسمائه وصفاته.

قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ).

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وفي الدعوة توضيح وشرح لهذه العبادة وحث الناس على التزامها وترك ما يخلفها جزءاً أو كلاً، وبيان للأجور العظيمة المرتبة على القيام بهذه العبادة، وهذا هو المقصود الأعظم من الدعوة إلى الله.

ثانياً: ومن ثمرات الدعوة أيضاً: بلوغ الدعوة الإسلامية إلى الناس وظهور أحكام الشريعة ومعرفة الخير من الشر.

وفي ذلك قيام للحجة على العباد قال سبحانه (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَالٍ يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ).

ثالثاً: ومن ثمراتها أيضاً: تكثير الأمة الحمديّة الذي هو تحقيق لما تمناه النبي ﷺ ، وهو أن يكون أكثر الأنبياء أتباعاً. كما في الحديث المخرج في الصحيحين (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابِعاً يوم القيامة).

رابعاً: ومنها حل المشكلات المتعلقة بالمجتمعات فكرياً واجتماعياً وخلقياً وسلوكياً وغيرها التي بقاؤها هو من أسباب الدمار والهلاك.

لأن الإنسان إذا سار بعقله وهواه وعزل نفسه عن الوحي السماوي فإنه لا بد هالك، والدعوة هي: بيان لطريق النجاة للبشر جميعاً، ودين الله هو الهادي إلى كل خير، وهو الدواء الناجع لكل أمراض البشر الفكرية والسلوكية وغيرها. قال الله تعالى (يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ \* قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ).

وقال سبحانه (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى).

خامساً: ومن ثمرات الدعوة الوصول إلى بناء مجتمع تتمثل فيه جميع صفات المثالية والقدوة قدر الإمكان.

قال ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). سادساً: ومن ثمرات الدعوة أيضاً دلالة الناس على الخير والفلاح وهدايتهم إلى طريق السعادة الذي نهايته الجنة، وتحذيرهم من الشر والبوار والحسران الذي نهايته النار.

قال الله سبحانه (فإِذَا يَسْرُناهٗ بِلِسَانِكَ لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا).

وقال جل وعلا (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).

وقال سبحانه (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا «١» قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا «٢» مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا «٣» وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا).

سابعاً: وفي الدعوة جلب للمصالح وتكثيرها ودفع للمفاسد وتقليلها في المجتمعات بقدر الإمكان.

ثامناً: وفي الدعوة حياة للقلوب، فبها تنشيط للخاملين وتذكير للغافلين وزيادة إيمان المؤمنين، وفيها كبت لأهل الأهواء والمبطلين وإغاظة للكافرين.

تاسعاً: وفي القيام بالدعوة إلى الله تعالى واستمرارها على جميع الوجوه وفي كل الأحوال ثبات للحق، ونصرة للدين، وبقاء للطائفة المنصورة الموعودة بالظهور والغلبة على كل من خالف الدين الحق من أهل البدع والملل وأصحاب الشهوات والشبهات في كل زمان ومكان كما قال النبي ﷺ في الحديث المخرج في الصحيحين: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك).

### فائدة : ٣

شروط الدعوة إلى الله :

أولاً : أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه .

قال تعالى ( قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ) .

لأنه قد يدعو إلى شيء يظن أنه واجب وهو في الشرع غير واجب ، فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به ، وقد يدعو إلى ترك شيء يظن أنه محرم ، وهو في دين الله غير محرم .

**ثانياً : أن يكون على بصيرة بحال المدعو :**

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ...) متفق عليه فأخبره النبي ﷺ بذلك لأمرين :

الأول : أن يكون بصيراً بأحوال من يدعو .

الثاني : أن يكون مستعداً لهم ، لأنهم أهل كتاب وعندهم علم .

ثالثاً : الدعوة إلى الله بالرفق والحكمة والعفو .

إن الطريق الأمثل الذي سلكه الأنبياء عليهم السلام . هو الدعوة إلى الله تعالى بالرفق واللين والحكمة والموعظة الحسنة . يقول الله تعالى ( وقولوا للناس حسناً ) .

ويقول سبحانه وتعالى عن رسول الله ﷺ ( فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ) . ويقول سبحانه ( ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ) .

ويقول سبحانه وتعالى مخاطباً موسى وهارون . عليهما السلام . حينما بعثهما إلى فرعون ( فقولوا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ) قال ابن كثير رحمه الله : هذه الآية فيها عبرة عظيمة ، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار ، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين ( أ . هـ

وعن أنس بن مالك أن أعرابياً بال في المسجد فقاموا إليه فقال رسول الله ﷺ : (دعوه ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه). متفق عليه وفي رواية قال : ( إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء عليهم السلام . ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول ( اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ) رواه البخاري .

وعن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال ( إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه ) رواه مسلم .

**فائدة : ٤**

أهم شرط في الدعوة للإخلاص لله تعالى .

لقوله تعالى ( قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ ... ) .

فقوله (أدعو إلى الله) لأن الدعوة إلى الله ينقسمون قسمين:

داع إلى الله.

وداع إلى نفسه.

فالداعي إلى الله هو المخلص الذي يريد أن يوصل الناس إلى الله تعالى.

والداعي إلى نفسه يدعو إلى الحق لأجل أن يعظم بين الناس ويحترم.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه.

**م / ( الرابعة : الصبر على الأذى فيه ) .**

=====

لأن من قام بدين الإسلام ودعا الناس إليه ، فقد تحمل أمراً عظيماً ، وقام مقام الرسل في الدعوة إلى الله .

والدعوة إلى الله تحتاج إلى صبر ؟ لماذا :

لأن أصحاب الدعوة إلى الله يطلبون إلى الناس أن يتحرروا من أهوائهم وأوهامهم ومألوفاتهم ، ويثوروا على شهوات أنفسهم ، ومعبودات آبائهم ، وعادات أقوامهم ، وامتيازات طبقاتهم ، وينزلوا عن بعض ما يملكون إلى إخوانهم ، ويقفوا عند حدود الله فيما أمر ونهى ، وأحل وحرم ، وأكثر الناس لا يؤمنون بهذه الدعوة الجديدة ، فلهذا يقاومونها بكل قوة ، ويجارون دعاها بكل سلاح ، مدلين بأنهم أكثر مالاً وأعز نفراً ، وأقوى نفوذاً ، وأوسع سلطاناً .

فليس أمام دعاة الحق إلا أن يعتصموا باليقين ، ويتسلحوا بالصبر في وجه القوة الضاربة ، فالصبر هنا كما قال علي عليه السلام : ( سيف لا ينبو ، ومطية لا تكبو ، وضياء لا يخبو ) .

والصبر : خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يحمل . وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها .

فلا نجاح في الدنيا، ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر.

فلولا صبر الزارع على بذره ما حصده، ولولا صبر الغارس على غرسه ما جنى، ولولا صبر الطالب على درسه ما تخرج، ولولا صبر المقاتل في ساح الوغى ما انتصر، وهكذا كل الناجحين في الدنيا إنما حققوا آمالهم بالصبر.

وإذا كان هذا في أمور الدنيا، ففي أمور الآخرة أولى، وخاصة أهل الإيمان، فهم أشد الناس حاجة للصبر لأنهم يتعرضون للأذى والحن والابتلاءات.

قال تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ).

وقال تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ).

فائدة : ١

فضائل الصبر :

أولاً: معية الله للصابرين.

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ).

ثانياً: محبة الله لهم.

قال تعالى (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ).

ثالثاً: إطلاق البشري لهم.

قال تعالى (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ).

رابعاً: إيجاب الجزاء على أحسن أعمالهم.

قال تعالى (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

خامساً: ضمان المدد والنصرة لهم.

قال تعالى (بَلَىٰ إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُدْخِلْكُمْ فِيكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ).

سادساً: استحقاقهم دخول الجنة وتسليم الملائكة عليهم.

قال تعالى (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا).

وقال تعالى (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) سابعاً: حفظهم من كيد الأعداء.

قال تعالى (وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ).

سابعاً : سبب للحصول على درجة الإمامة في الدين .

قال تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ).

قال ابن تيمية: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين. ثم تلا هذه الآية (وجعلنا منهم أمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون).

ثامناً : أنه من أسباب النصر .

كما في حديث ابن عباس (واعلم أن النصر مع الصبر).

تاسعاً : أمر الله به المؤمنين .

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ).

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ).

عاشراً : الصبر ضياء .

كما قال ﷺ (والصبر ضياء).

الحادي عشر : أنه خير ما أعطي العبد .

قال ﷺ (وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر) رواه مسلم .

فائدة : ٢

قال تعالى ( اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا )

قال السعدي: وهذه وظيفة العبد، أنه عند القدرة، أن يفعل من الأسباب الدافعة عنه أذى الغير، ما يقدر عليه، وعند العجز، أن يصبر ويستعين بالله، وينتظر الفرج .

فائدة : ٣

قوله ﷺ ( وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر).

فهذا دليل على أن أفضل ما أعطي العبد الصبر .

قال ابن القيم: فإن هذا بعد نزول البلاء، ليس للعبد أوسع من الصبر، وأما قبله فالعافية أوسع له

وقال السعدي: وإنما كان الصبر أعظم العطايا، لأنه يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته، وكل حالة من أحواله تحتاج إلى صبر، فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله، حتى يقوم بما ويؤديها، وإلى صبر عن معصية الله حتى يتركها لله، وإلى صبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يتسخطها، بل إلى صبر على نعم الله ومحوبات النفس، فلا يدع النفس تفرح وتفرح الفرح المذموم، بل يشتغل بشكر الله، فهو في كل أحواله يحتاج إلى الصبر، وبالصبر ينال الفلاح، ولهذا ذكر الله أهل الجنة فقال (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) (سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) وكذلك قوله (أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا).

فهم نالوا الجنة بنعيمها، وأدركوا المنازل بالصبر، ولكن العبد يسأل الله العافية من الابتلاء الذي لا يدري ما عاقبته، ثم إذا ورد عليه فوظيفته الصبر، فالعافية هي المطلوبة بالأصالة في أمور الابتلاء والامتحان، والصبر يؤمر به عند وجود أسبابه ومتعلقاته، والله هو المعين .

فائدة : ٤

إن مشاق الدعوة إلى الله التي أمر الله بالصبر عليها تتمثل في :

إعراض الخلق عن الداعية .

رأينا ذلك مع نوح عليه السلام حيث قال مناجياً ربه ( رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ) .

**وتتمثل في متاعب الدعوة في أذى الناس بالقول والفعل .**

قال تعالى ( لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ) .

**وتتمثل في مشاق الدعوة كذلك في طول الطريق واستبطاء النصر .**

فقد جعل الله العاقبة للمتقين ، وكتب النصر لدعاة الحق من رسله وأتباعهم وورثتهم المؤمنين ، ولكن هذا النصر لا يتحقق بين عشية وضحاها ولا تشرق شمسُه إلا بعد ليل طويل .

يقول تعالى ( حتى إذا استنيس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ) .

**فائدة : ٥**

**ضرورة الخن لأهل الإيمان :**

وإنما كانت الخن ضرورة لأهل الإيمان لجملة معان وحكم نبه عليها القرآن :

**أولاً : تطهير الصف المؤمن من أذعياء الإيمان من المنافقين والذين في قلوبهم مرض .**

قال تعالى ( ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ) .

**ثانياً : تربية المؤمنين وصقل معادتهم وتمحيص ما في قلوبهم .**

قال تعالى ( وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ) .

**ثالثاً : زيادة رصيدهم ومقامهم عند الله ، فهو يرفع درجاتهم ويضاعف حسناتهم .**

قال النبي صلى الله عليه وسلم : ( ما يصيب المؤمن من هم ولا غم ولا نصب ولا وصب ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها ) . رواه البخاري .

قال ابن القيم : يا مَحْتَت العزم أين أنت ، والطريق طريقُ تعب فيه آدم ، وناح لأجله نوح ، ورُمي في النار الخليل ، وأضجع للذبح إسماعيل ، وبيع يوسف بثمن بخس ، ولبت في السجن بضع سنين ، ونُشر بالمنشار زكريا ، وذبح السيد الحصور يحيى ، وقاسى الضرَّ أيوب ، وزاد على المقداد بكاءُ داود ، وسار مع الوحش عيسى ، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال رحمه الله : ابتلاء المؤمن كالدواء له ، يستخرج منه الأدوية التي لو بقيت فيه أهلكته ، أو نقصت ثوابه ، وأنزلت درجته ، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدوية ، ويستعدُّ به لتمام الأجر وعلو المنزلة .

ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ( والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن ، إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيراً له ) .

فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نصره وعزّه وعافيته ، ولهذا كان أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء ، ثم الأقرب إليهم فالأقرب ، يُبتلى المرء على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة شُدِّد عليه البلاء ، وإن كان في دينه رِقَّةٌ خُفِّف عنه ، ولا يزال البلاء بالمؤمن ، حتى يمشي على وجه الأرض وما عليه خطيئة .

جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ( إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَنْرَلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَكَلِدِهِ ) رواه أبو داود .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه النبي ﷺ قال ( إن عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ ) رواه الترمذي .  
 وقد جُمع السببان في حديث عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ قال ( مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا حَطِيئَةً ) . رواه البخاري ومسلم

م / ( والدليل قوله تعالى: (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) )

=====

أي الدليل على هذه المراتب الأربع قوله تعالى ( والعصر ) .

( والعصر ) أقسم الله عز وجل في هذه السورة بالعصر الذي هو الدهر ، وهو محل الحوادث من خير وشر .

قال ابن الجوزي : وإنما أقسم بالدهر لأن فيه عبرة للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا ينخرم .

وقال الشوكاني : أقسم سبحانه بالعصر ، وهو الدهر ، لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار ، وتعاقب الظلام والضياء ، فإن في ذلك دلالة على الصانع عز وجل ، وعلى توحيده .

وقال ابن جزى : قوله تعالى ( والعصر ) فيه ثلاثة أقوال :

الأول أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها ، قال رسول الله ﷺ : الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله .

الثاني أنه العشيّ أقسم به كما أقسم بالضحى .

الثالث أنه الزمان . انتهى

فأقسم تعالى به على :

( إن الإنسان لفي خسر ) هذا جواب القسم ، أي : في خسارة وهلاك .

والمراد بالإنسان من حيث هو لفي خسران ونقصان وهلاك .

قال ابن القيم : الإنسان من حيث هو إنسان خاسر، إلا من رحمه الله فهداه ، ووقفه للإيمان والعمل الصالح في نفسه وأمر غيره به .

وأصل الخسران في لغة العرب: هو نقصان مال التاجر، سواء كان نقصاً في ربح المال، أو نقصاً في رأس المال.

والخسران في اصطلاح الشرع: هو غبن الإنسان في حظوظه من ربه (جل وعلا)؛ لأن الإنسان إذا غُبن في حظوظه من ربه (جل وعلا) فقد خَسِرَ الخُسْرَانَ المَبِين.

( إلا الذين آمنوا ) فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم بكل ما يجب الإيمان به من الإيمان بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وبكل ما يجب الإيمان به من الغيوب الماضية والمستقبله ، وضده الكفر .

( وعملوا الصالحات ) أي : وعملوا الأعمال الصالحات من واجبات ومستحبات .

والعمل الصالح لا يكون صالحاً إلا بشرطين: الشرط الأول: أن يكون خالصاً لله، قال ﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) متفق عليه.

الشرط الثاني: أن يكون متابعاً للنبي ﷺ لقوله ﷺ (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) رواه مسلم.

فمن عمل عملاً أشرك به مع الله غيره ولو يسير الرياء كان عمله غير صالح، ومن أخلص لله لكن على غير شريعة رسول الله ﷺ كان عمله غير صالح.

**قال السعدي:** ووصفت أعمال الخير بالصالحات، لأن بها تصلح أحوال العبد، وأمور دينه ودينه، وحياته الدنيوية والأخروية، ويوزل بها عنه فساد الأحوال، فيكون بذلك من الصالحين الذين يصلحون لمجاورة الرحمن في جنته.

ودائماً يقرن الله العمل بالصالح، لأنه ليس كل عمل يقبل إلا إذا كان صالحاً.

قال تعالى (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ...).

وقال تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ...).

وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا).

( وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ) أي أوصى بعضهم بعضاً بلزوم الحق والتمسك به، قولاً وفعلاً واعتقاداً، فعلاً للطاعات وتركاً للمنهيات.

( وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ) أي : أوصى بعضهم ببعض بالصبر، على فعل الطاعات، وعلى ترك المنهيات، وعلى المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

**ففي هذه السورة الكريمة :** التنبيه على أن جنس الإنسان كله في خسارة إلا من استثنى الله وهو من كمال قوته العلمية بالإيمان بالله ، وقوته العملية بالطاعات ، فهذا كماله في نفسه ثم كمال غيره بوصيته له في ذلك ، وأمره به وبملاك ذلك ، وهو الصبر ، وهذا غاية الكمال ومعنى ذلك في القرآن كثير .

**قال الشنقيطي :** وقد أقسم الله (جل وعلا) - وهو أصدق من يقول - في سورة كريمة من كتابه - وكل سورة منه كريمة- ألا وهي (سورة العصر) أن الخسران لا ينجو منه إنسان كائناً ما كان إلا بأعمال معينة مبينة، وذلك في قوله (وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ) (إِنَّ الْإِنْسَانَ) معناه: إن كل إنسان كائناً من كان (لَفِي خُسْرٍ) (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) فهذا الخسران لا يُنجي منه شيء أبداً كما أقسم عليه رب السماوات والأرض إلا بالإيمان والأعمال الصالحات، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، هذا الذي يُنجي من الخسران.

**وقال الرازي :** هذه الآية فيها وعيد شديد، وذلك لأنه تعالى حكم بالخسار على جميع الناس إلا من كان آتياً بهذه الأشياء الأربعة، وهي الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور وإنه كما يلزم المكلف تحصيل ما يخص نفسه فكذلك يلزمه في غيره أمور، منها الدعاء إلى الدين والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يجب له ما يجب لنفسه، ثم كرر التواصي ليضمن الأول الدعاء إلى الله، والثاني الثبات عليه، والأول الأمر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر، ومنه قوله (وانه عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ) وقال عمر: رحم الله من أهدى إلي عيوبي.

**وقال ابن القيم :** وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر، (إلا الذين آمنوا) وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به، فهذه مرتبة . (وعملوا الصالحات) وهم الذين عملوا بما علموه من الحق، فهذه أخرى . (وتواصوا بالحق) وصى به بعضهم بعضاً تعليماً وإرشاداً، فهذه ثالثة . (وتواصوا بالصبر) صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضاً بالصبر وعلى الثبات، فهذه مرتبة رابعة .

وهذا نهاية الكمال، فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه ، مكماً لغيره .

**وقال السعدي رحمه الله :** فبالأمرين الأولين يكمل العبد نفسه ، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره ، ويتكامل الأمور الأربعة يكون العبد قد سلم من الخسارة وفاز بالريح العظيم .

**فائدة : ١**

قال ابن القيم : جهاد النفس أربع مراتب :

أحدها : أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق ، الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ، ومتى فاتها شقيت في الدارين .

الثانية : أن يجاهدها على العمل به بعد علمه ، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها .

الثالثة : أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه .

الرابعة : أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق . أ . هـ

## فائدة : ٢

وإقسام الله عز وجل بالوقت والزمان يدل على أهميته، لأن الوقت هو عمر الإنسان ووقت العمل الصالح الذي به النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة .

بقول تعالى في مقام الامتنان، وبيان عظيم فضل الله على الإنسان: (وَسَحَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَحَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ).

ويقول تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) .

وأقسم الله به في مطالع سور عديدة :

قال تعالى : (وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى) . وقال تعالى : (وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ) .

وقال ﷺ : ( لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ... ) .

وقال النبي ﷺ : ( اغتتم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل مرضك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك ) . رواه الحاكم

● والوقت من خصائصه :

أولاً : أنه سريع الانقضاء .

فهو يمر مرّ السحاب ، ويجري جري الرياح ، ومهما طال عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا فهو قصير ، ما دام الموت هو نهاية كل حي ، ورحم الله الشاعر إذ يقول :

وإذا كان آخر العمر موتاً فسواءً قصيره والطويل

يحكى عن شيخ المرسلين نوح عليه السلام أنه جاءه ملك الموت ليتوفاه بعد أكثر من ألف سنة عاشها قبل الطوفان وبعده ، فسأله : كيف وجدت الدنيا ؟ فقال : كدار لها بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر .

ثانياً : والوقت ما مضى منه لا يعود ولا يعوض .

فكل يوم يمضي ، وكل ساعة تنقضي ، وكل لحظة تمر ، ليس في الإمكان استعادتها .

ولذلك قال الحسن : ما من يوم ينشق فجره ، إلا وينادي : يا ابن آدم ! أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني ، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة .

ويقول الشاعر :

وما المرء إلا راكب ظهر عمره على سفر يفنيه باليوم والشهر

بيت ويضحى كل يوم وليلة بعيداً عن الدنيا قريباً إلى القبر

## فائدة : ٣

فضل الإيمان ومنزلته العظيمة، حيث بدأ به وجعله أول واجب على الخلق.

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ افشوا السلام بينكم ) .

#### فائدة : ٤

قوله ( وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ . وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ) .

لأن من قام بدين الإسلام ودعا الناس إليه ، فقد تحمل أمراً عظيماً ، وقام مقام الرسل في الدعوة إلى الله . والدعوة إلى الله تحتاج إلى صبر، ذلك أن أصحاب الدعوة إلى الله يطلبون إلى الناس أن يتحرروا من أهوائهم وأوهامهم ومألوفاتهم، ويثوروا على شهوات أنفسهم ، ومعبودات آبائهم ، وعادات أقوامهم ، وامتيازات طبقاتهم ، وينزلوا عن بعض ما يملكون إلى إخوانهم ، ويقفوا عند حدود الله فيما أمر ونهى ، وأحل وحرم ، وأكثر الناس لا يؤمنون بهذه الدعوة الجديدة ، فلهذا يقاومونها بكل قوة ، ويحاربون دعائها بكل سلاح ، مدلين بأنهم أكثر مالاً وأعز نفراً ، وأقوى نفوذاً ، وأوسع سلطاناً . فليس أمام دعاة الحق إلا أن يعتصموا باليقين ، ويتسلحوا بالصبر في وجه القوة الضاربة ، فالصبر هنا كما قال علي رضي الله عنه : ( سيف لا ينبو ، ومطية لا تكبو ، وضياء لا يخبو ) .

#### فائدة : ٥

وجوب التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المسلمين .

#### فائدة : ٦

دلت الآية على أن الحق ثقيل ، وأن المحن تلازمه ، فلذلك قرن به التواصي.

#### فائدة : ٧

أن الإيمان بالقلب لا يكفي، بل لا بد من العمل الصالح، وفيه رد على من يقول: إن الإيمان بالقلب، وهو مع ذلك تارك للفرائض ومرتكب للمحرمات، معتد على حدود الله تعالى.

#### فائدة : ٨

أن الخسارة الحقيقية أن يصاب الإنسان في دينه ، لأن الصفات الأربع المذكورة كلها مما يتعلق بالدين .

فليست الخسارة أن يصاب الإنسان في ماله أو في نفسه أو في أهله أو في ولده ، فهذه كلها - وإن كانت تعد من المصائب -

إلا أن الخسارة العظمى والمصيبة الكبرى أن يصاب الإنسان في دينه ، فيموت - والعياذ بالله - على الكفر .

قال تعالى (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)

والمعنى : أن الكفار الخاسرين لأنفسهم بعنادهم وتمردهم لا يؤمنون بما جاء به الرسول.

وَبَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ خُسْرَانَ الْخَاسِرِينَ قَدْ يَشْمَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ:

كما قال تعالى (وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) .

وأكبر الأدلة على خسارتهم أنفسهم: أنهم إن صاروا إلى النار أكبر مُنِيَةً يتمنونها، وأكبر غرض يطلبونه: هو أن يموتوا وتعدم

أنفسهم فتصير لا شيء؛ ولذلك يقولون (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ).

ولكن أمنيته العظمى التي هي الموت لا يحصلونها أبداً؛ لأن الله يقول (لَا يُفْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ) ويقول (جل وعلا) في الكافر (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ) (فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى).

م / قال الشافعي : ( لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكتفهم ) .

=====

مراد الشافعي رحمه الله : أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على التمسك بدين الله بالإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى الله والصبر على ذلك ، وليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع الشريعة .

وقول الشافعي : ( لو ما أنزل الله على خلقه ... ) لماذا ؟

لأن العاقل البصير إذا سمع هذه السورة أو قرأها فلا بد أن يسعى إلى تخليص نفسه من الخسران ، وذلك باتصافه بهذه الصفات الأربع : الإيمان . العمل الصالح . التواصي بالحق . التواصي بالصبر .

قال شيخ الإسلام : وهو كما قال . أي الشافعي . فإن الله أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحاً ، ومع غيره موصياً بالحق موصياً بالصبر . انتهى .

والشافعي : هو : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، أبو عبد الله القرشي المطلبّي .

أحد أئمة المذاهب الأربعة ، وإليه ينتسب الشافعية .

وُلد الشافعي بغزة بفلسطين ، سنة : ١٥٠ من الهجرة ، وهو العام الذي توفّي فيه أبو حنيفة (رحمه الله) .

قال الشافعي : حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين .

قال الربيع بن سليمان : كان الشافعي قد جزأ الليل ثلاثة أجزاء ؛ الثلث الأول يكتب ، والثلث الثاني يصلي ، والثلث الثالث ينام .

وقال الربيع : قال لي الشافعي : عليك بالزهد ؛ فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلي على المرأة الناهد .

جامع لعلوم الفقه والأصول والحديث واللغة ، نشر مذهبه بالحجاز والعراق .

ثم انتقل إلى مصر ونشر بها مذهبه ، وبها توفي سنة ٢٠٤ هـ .

من تصانيفه : الأم في الفقه ؛ والرسالة في أصول الفقه .

م / ( وقال البخاري . رحمه الله . : باب العلم قبل القول والعمل ، والدليل قوله تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر

لذنبك ﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل ) .

=====

استدل البخاري رحمه الله بهذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل . فترجم لذلك .

وذلك أن الله أمر نبيه ﷺ بأمرين : بالعلم ثم العمل .

والمبدوء به العلم في قوله : ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ فدل على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل ، وهذا دليل أثري .

وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل :

وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحاً مقبولاً حتى يكون على وفق الشريعة ، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على

وفق الشريعة إلا بالعلم .

قال الشاعر :

وكل من بغير علم يعمل أعماله مردودة لا تقبل

فالإنسان عليه أن يتعلم أولاً، ثم يعمل، فيتعلم دينه و يعمل على بصيرة، و الله أعلم".

وقال ابن حجر - رحمه الله - في قوله تعالى ( فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ) .

قال ابن المنير : أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به فهو متقدم عليهما لأنه مصحح للنية المصححة للعمل ، فبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم : ( وإن العلم لا ينفع إلا بالعمل ) تهوين أمر العلم والتساهل في طلبه .

وسئل سفيان عن فضل العلم فقال : ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فقال ( فاعلم أنه لا إله إلا الله ) ثم أمره بالعمل بعد ذلك فقال ( واستغفر لذنبك وللمؤمنين ) ، وفي شهادة أن لا إله إلا الله لا يغفر إلا بها من قالها غفر له .

م / ( واعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن ) .

=====

هذه المسائل الثلاث من أهم المسائل التي تتعلق بالتوحيد وحقوقه ، فيجب على كل مكلف من ذكر وأنثى وحر وعبد أن يتعلمهن ويعتقد معانيهن والعمل بمدلولهن فإن العمل هو ثمرة العلم .

م / ( الأولى/ أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً بل أرسل إلينا رسولاً فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار ، والدليل قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً ويبلاً ﴾ ) .

=====

( أن الله خلقنا ) سبحانه وتعالى فلا خالق إلا الله .

قال تعالى : ﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾ .

فهذه الآية تفيده اختصاص الخلق بالله .

قال تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم أنتم بشر تنتشرون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وخلق الإنسان من صلصال كالفخار ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ .

وأما الدليل العقلي على أن الله خلقنا :

فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ .

فإن الإنسان لم يخلق نفسه ، لأنه قبل وجوده عدم ، والعدم ليس بشيء ، وما ليس بشيء لا يوجد شيئاً ، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق ، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجد ، لأن كل حادث لا بد له من محدث ، ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام البديع والتناسق المتألف يمنع منعاً باتاً أن يكون صدفة إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقاءه وتطوره .

وقال تعالى : ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ﴾ .  
 إذ لو أثبتنا للعالم خالقين لكان كل خالق يريد أن يتفرد بما خلق ويستقل به كعادة الملوك ، إذ لا يرضى أن يشاركه أحد .  
**فائدة :**

إن من يستحق العبادة هو من يخلق، من يبصر ويسمع وينفع ويضر .

قال تعالى (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يُخْلِقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا).  
 وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

ففيها أن المستحق للعبادة هو من يخلق، أما من هو عاجز عن الخلق فلا يستحق أن يكون معبوداً، وقد جرت العادة في القرآن الكريم في آيات كثيرة أنه يجعل سبب العبادة التي تُستحق به هو الخلق والإبراز من العدم إلى الوجود، فمن يبرزكم من العدم إلى الوجود، ويوجدكم بعد أن كنتم عدماً هو هذا ربكم الذي يستحق أن تعبدوه وحده، أما الذي يحتاج إلى من يخلقه فهو عبد مريبوب فقير مثلكم.

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ).  
 وقال تعالى (أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ).

وقال تعالى (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ).

#### فائدة : ٢

قال بعض العلماء: إنما نص الله تعالى على صفة الخلق دون غيرها من الصفات، لأن المشركين كانوا يعترفون أن الله خالقهم، كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم)، وقيل: ليذكرهم بذلك نعمته عليهم.

#### فائدة : ٣

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ \* إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي).  
 فقوله (إلا الذي فطرني) ولم يقل إلا الله لفائدتين:

**الأولى:** الإشارة إلى علة إفراد الله بالعبادة ، لأنه كما أنه متفرد بالخلق ، فيجب أن ينفرد بالعبادة.

**والثانية:** الإشارة إلى بطلان عبادة الأصنام ، ولأنها لم تفطركم حتى تعبدوها ، ففيها تعليل للتوحيد الجامع بين النبي والإثبات.

( ورزقنا ) أي : فلا رازق إلا هو سبحانه وتعالى .

قال تعالى : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ .

وقال عليه السلام في الجنين ( يبعث إليه ملك فيؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ) .

وأما الدليل العقلي على أن الله رزقنا :

فلأننا لا نعيش إلا على طعام وشراب ، والطعام والشراب خلقه الله ، كما قال تعالى : ﴿ أفأرأيتم ما تحرثون أنتم تزرعونوه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلمتم تفكهون إنا لمغرمون بل نحن محرومون أفأرأيتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون ﴾ .

وفي هذا : وجوب التوكل على الله، وعدم الخوف من الفقر، لأن الرزق مكتوب.

قال تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ).

وقال تعالى (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ \* فَوزَبِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ).

وصح عنه عليه السلام من حديث أبي الدرداء أنه قال (إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله).

وقال عليه السلام (إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم).

وقال عليه السلام (يا أبا هريرة، جف القلم بما أنت لاقٍ).

وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوِيَّ رِزْقَهَا

وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَزَمَ) رواه ابن ماجه.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرَّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ، إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ

شَيْءٌ يُقَرَّبُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى

تَسْتَوِيَّ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا

بِطَاعَتِهِ رواه ابن أبي شيبة، والبيهقي في "الشعب".

وعن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت (اللَّهُمَّ أَمْتَعْنِي بِرُزْقِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: قَدْ

سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجْلِ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ وَلَوْ كُنْتَ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ

يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ) رواه مسلم.

فما كتب للعبد من رزق وأجل، فلا بد أن يستكمله قبل أن يموت.

عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَمَا يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ).

قال بعض الحكماء: وجدت أطول الناس غمًا الحسود، وأهناهم عيشًا القنوع.

وسئل أبو حازم فقيل له: ما مالك؟ قال: لي مالان لا أحشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي.

وسئل الحسن البصري عن سر زهده في الدنيا؟ فقال: أربعة أشياء: علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي، وعلمت أن

عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي، وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني عاصياً، وعلمت أن الموت ينتظرني

فأعددت الزاد للقاء ربي.

قال بعض السلف: إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء: مؤمن قتل مؤمناً، ورجل يموت على الكفر،

وقلب فيه خوف الفقر.

وعلى هذا:

أ- يجب الإيمان بأن الرزق مكتوب، لا يجلبه حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره.

ب- أن هذا لا يمنع فعل الأسباب التي شرع الله لعباده الأخذ بها.

ج- أن يسعى العبد في طلب الرزق الحلال، وأن يجتنب الحرام.

د- أن لا يطلب الرزق بجشع وحرص.

(ولم يتركنا هملًا) بل خلقنا لحكمة وهي عبادته سبحانه وتعالى.

قال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو).

قال ابن كثير : أي أظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة منا ، وقيل: للعبث ، أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت إليها ثم لا ثواب ولا عقاب .

وقال تعالى ( أَيْحَسِبِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى ) .

قال السدي : لا يُبعث .

وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني لا يؤمر ولا يُنهى .

قال ابن كثير : والظاهر أن الآية تعم الحالين ، أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملاً لا يؤمر ولا يُنهى ، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث ، بل هو مأمور ومنهي في الدنيا ، محشور إلى الله في الدار الآخرة .

وأما الدليل العقلي :

فلأن وجود هذه البشرية لتحميا ثم تتمتع كما تتمتع الأنعام ثم تموت إلى غير بعث ولا حساب أمر لا يليق بحكمة الله عز وجل ، بل هو عبث محض ولا يمكن أن يخلق الله هذه الخليقة ويرسل إليها الرسل ويبيح لنا دماء المعارضين المخالفين للرسل . عليهم الصلاة والسلام . ثم تكون النتيجة لا شيء ، هذا مستحيل على حكمة الله عز وجل .

#### فائدة : ١

تنزيه الله عن كل عيب وعن كل عبث ، فلو فرض أنه لا بعث ولا جزاء ... فلو فرضنا أنه لا جزاء ولا حساب ولا بعث، فما فائدة الأوامر والنواهي .

فقوله تعالى ( فَتَعَالَى اللَّهُ ) أي: تنزهه وتعظيمه وتقديسه عن أن يكون خلقهم لا لحكمة .

#### فائدة : ٢

أن الله خلق الخلق لحكمة عظيمة ، وغاية جلييلة وهي عبادته سبحانه .

حيث قال ( وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ) .

ولما ظن الكفار أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً ، لا لحكمة تكليف وحساب وجزاء ، هددهم بالويل من النار بسبب ذلك الظن السيئ .

فقال تعالى ( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ) .

وقد نزه تعالى نفسه عن كونه خلق الخلق عبثاً ، فقال تعالى ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ) . فقوله تعالى ( فَتَعَالَى اللَّهُ ) أي: تنزهه وتعظيمه وتقديسه عن أن يكون خلقهم لا لحكمة .

( بل أرسل إلينا رسولاً ) هو محمد ﷺ أرسله الله بالهدى ودين الحق .

( فمن أطاعه دخل الجنة ) أي : من اتبعه واجتنب ما نهى عنه وزجر دخل الجنة .

قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

وقال الرسول ﷺ : ( كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي ، فقيل : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : ( من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار ) . رواه البخاري

( ومن عصاه دخل النار ) أي : لم يتبعه وكذبه دخل النار .

قال تعالى ( ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ) .

وقال تعالى ( ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ) .

وقال ﷺ في الحديث السابق ( كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي .....ومن عصاني دخل النار ) .

والمراد بالإباء هنا : هو الامتناع عن التزام سنة رسول الله ﷺ وعصيان أمره .

والموصوف بالإباء :

إن كان كافراً فلا يدخل الجنة أبداً ... وإن كان مسلماً منع من دخولها مع أول داخل؛ إلا من شاء الله تعالى .

فائدة :

متابعة وطاعة الرسول ﷺ سبب لمحبة الله .

قال تعالى ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) .

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع الحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال ( مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ ) .

قال الشنقيطي: قوله تعالى ( قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ) الآية .

صرح تعالى: في هذه الآية الكريمة أن اتباع نبيه موجب لمحبهته جل وعلا ذلك المتبع .

وذلك يدل على أن طاعة رسول الله ﷺ هي عين طاعته تعالى، وصرح بهذا المدلول في قوله تعالى ( مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ) وقال تعالى ( وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ) .

قال ابن القيم: فجعل سبحانه متابعة رسوله سبباً لمحبتهم له وكون العبد محبوباً لله أعلى من كونه محباً لله فليس الشأن أن تحب الله ولكن الشأن أن يحبك الله فالطاعة للمحبيب عنوان محبته .

وسبب للهداية .

قال تعالى ( وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ) .

ومن أسباب حلاوة الإيمان .

كما في الحديث قال ﷺ ( ثلاث من كن فيه ... ) .

ويحشر معه .

فقد قال ﷺ ( المرء مع من أحب ) متفق عليه .

واتباع النبي ﷺ سبب لحصول الرحمة .

قال تعالى ( ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتوا الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.... ) .

م / ( الثانية : أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحدٌ في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ

المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ﴾ ) .

=====

هذه المسألة الثانية مما يجب علينا علمها ، أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ، يعني فضلاً عن غيرهما من سائر المخلوقات ، لأن العبادة لا تصلح إلا لله .  
فالشرك أعظم ذنب عُصِيَّ الله به ، وهو هضم للربوبية ، وتنقص للألوهية .

#### فائدة : ١

تعريف الشرك : هو : تسوية غير الله بالله في ما هو من خصائص الله .

قال الذهبي رحمه الله: وهو أن تجعل لله نداً وهو خلقك وتعبد معه غيره من حجر أو بشر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو غير ذلك.

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ: الشرك قد عرفه النبي ﷺ بتعريف جامع كما في حديث ابن مسعود أنه قال: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، والند المثل والشبيه فمن صرف شيئاً من العبادات لغير الله فقد أشرك به شركاً يبطل التوحيد وينافيه.

وقال السعدي: إن حد الشرك الأكبر الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به فيصرفه لغير الله - عز وجل - فهذا هو الشرك.

#### فائدة : ٢

عظم خطر الشرك :

أولاً: المشرك حرام عليه الجنة ومأواه النار .

قال تعالى (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ).

وقال تعالى (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار) رواه البخاري.

ومسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار).

قال النووي رحمه الله أما دخول المشرك النار فهو على عمومته يدخلها ويخلد فيها ولا فرق فيه بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك.

وقال القرطبي رحمه الله: وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة، ويخلد في النار أبد الأبد من غير انقطاع عذاب ولا تصرف أعمال، فالمشرك إن مات على الشرك فهو في النار.

ثانياً: الشرك سبب لحبوط العمل .

قال تعالى (وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وقال تعالى (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

ثالثاً: هو أعظم الظلم .

قال تعالى (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ).

وقال تعالى (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ) أي: من المشركين.

قال ابن رجب: فإن المشرك جعل المخلوق في منزلة الخالق، فعبده وتألّه، فوضع الأشياء في غير موضعها، وأكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين، إنما أريد به المشركون كما قال الله تعالى (وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

**وقال السعدي:** ووجه كونه ظلماً عظيماً لأنه لا أظفح ولا أبشع ممن سوى المخلوق من تراب بمالك الرقاب وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لا يستطيع أن ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء انتهى كلام السعدي رحمه الله رحمة واسعة.

**رابعاً: هو أعظم الذنوب.**

قال تعالى ( وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ).

وقال تعالى ( وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ).

قال ﷺ لما سئل أي الذنب أعظم؟ قال ( أن تجعل لله نداً وهو خلقك ) متفق عليه.

**قال السعدي:** أي افتري جرماً كبيراً، وأي ظلمٍ أعظم ممن سوى المخلوق من تراب الناقص من جميع الوجوه الفقير بذاته من كل وجه الذي لا يملك لنفسه فضلاً عمن عبده نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً بالخالق لكل شيء الكامل من جميع الوجوه، الغني بذاته عن جميع مخلوقاته الذي بيده النفع والضرر والعطاء والمنع الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟

**خامساً: لا يغفر الله لصاحبه إذا مات من غير توبة.**

قال تعالى ( إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ).

**سادساً: هو أكبر الكبائر.**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: ( سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ ( أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ ). قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: ( ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ ). قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ قَالَ: ( ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ ) متفق عليه.

وعن أبي بكر قال ( كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «أَلَا أُتَبِّحُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ - ثَلَاثًا - الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَكِيًا فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكْرِمُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ ) متفق عليه.

وَعَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْكِبَائِرِ قَالَ ( الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَقَوْلُ الزُّورِ ) رواه البخاري.

- وقد أثنى الله على الأنبياء بتوحيدهم وسلامتهم من الشرك:

قال تعالى ( إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَمِمَّا يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ).

وقال تعالى ( والذين هم بربهم لا يشركون ).

**فائدة : ٣**

الشرك أعظم الذنوب، وهو أظلم الظلم وذلك لأمر:

**أولاً:** لأن مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره.

**ثانياً:** لأن الشرك تشبيه للمخلوق بالخالق تعالى في خصائص الألوهية من ملك الضر والنفع والعطاء والمنع.

**ثالثاً:** هضم للربوبية، وتنقص للذات الإلهية.

**رابعاً:** سوء ظنٍ برب العالمين، فهو إذاً تسوية المخلوق الناقص بالخالق الكامل من جميع الوجوه، وأي ذنبٍ أعظم من أن يجعل مع

الله شريك في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته.

**فائدة : ٤**

من أعظم الأدلة على وجوب الخوف من الشرك:

قوله تعالى عن الخليل عليه السلام (وَاجْتَنِبْنِي وَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) وذلك من جهتين:

أ- من جهة المتكلم بها، وهو إبراهيم إمام الحنفاء.

ب- من جهة المدعو به، فإبراهيم دعا ربه بمجانبة الشرك، والمجانبة فيها مزيد مبالغة للمنهى عنه.

ولهذا قال إبراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم.

ومما يدل على أن الإنسان ينبغي أن يخاف من الشرك:

ما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، فسئل عنه فقال الرياء).

ووجه الشاهد من هذا الحديث على أن الإنسان ينبغي أن يخاف من الشرك؟ نقول من وجهين:

أ- أن الرسول ﷺ تخوف من وقوعه تخوفاً شديداً.

ب- أنه ﷺ تخوف من وقوعه في الصالحين الكاملين فمن دونهم من باب أولى.

**قال الشيخ السعدي رحمه الله:** فإذا كان الشرك ينافي التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنة إذا كان أكبر ولا

تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه كان حقاً على العبد أن يخاف منه أعظم خوف وأن يسعى في الفرار منه ومن طرقه ووسائله

وأساببه، ويسأل الله العافية منه كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق.

**تنبيه:**

قوله (الرياء) هذا من باب المثال لا من باب الحصر، إذ الشرك الأصغر أنواعه متعددة كالحلف بغير الله، وإنما اقتصر على الرياء

لكثرة وقوعه ومشقة دفعه.

**فائدة: ٥**

الشرك ينقسم عند العلماء إلى قسمين: شرك أكبر، وشرك وأصغر.

الأكبر تقدم تعريفه: أن يسوي غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

والأصغر: عرفه العلماء بعدة تعريفات كلها متقاربة (مضمونها: هو أن الشرك الأصغر لا يصل إلى حد الشرك الأكبر).

**قيل:** هو ما أتى في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى حد الأكبر.

**وقيل:** هو جعل شيء من حقوق الله لغيره لا يخرج به العبد من الملة.

**وقيل:** هو كل وسيلة تكون ذريعة إلى الشرك الأكبر قاله السعدي.

**وقيل:** ما ثبت شرعاً إطلاق اسم الشرك أو الكفر عليه وعُلم من أدلة أخرى عدم خروج صاحبه من الدين.

**فائدة: ٦**

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر.

الشرك الأكبر يخرج من الملة، والأصغر لا يخرج من الملة.

الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، والأصغر لا يخلد صاحبه فيها إذا دخلها.

الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والأصغر يحبط العمل الذي قارنه.

**فائدة: ٧**

الشرك الأصغر محرم بل هو أكبر الكبائر ويأتي في مرتبة تلي مرتبة الشرك الأكبر.

واتفق علماء أهل السنة على أن مرتكب الشرك الأصغر غير خارج من الملة وأنه لا يخلد في النار.

**فائدة: ٨**

الدليل على تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر:

ما جاء عن شداد بن أوس قال (كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ من الشرك الأصغر) رواه البزار وسنده حسن. وللحديث السابق (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال الرياء).

#### فائدة : ٩

قولنا الشرك الأصغر: قد يفهم بعض الناس إنه إنما سمي بذلك لقلة أهميته وليس كذلك ولكن لما كان بمقابل الأكبر سمي أصغر وإلا فهو أعظم من الكبائر.

وقد وضع العلماء ضوابط وقواعد يتميز بها الشرك الأكبر عن الأصغر عند وروده في النصوص الشرعية:

ضابط: (١) أن ينص النبي ﷺ صراحة أن هذا من الشرك الأصغر.

كقوله ﷺ في الحديث السابق (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال الرياء).

ضابط: (٢) أن يرد لفظ الشرك في نصوص الكتاب والسنة منكرأ أي غير مقترن بالألف واللام فهذا في الغالب يقصد به الشرك الأصغر.

وهذا له أمثلة كثيرة كقول النبي ﷺ (إن الرقى والتمايم والتولة شرك)، فالمقصود بالشرك هنا الأصغر دون الأكبر.

ضابط: (٣) أن يفهم الصحابة من النصوص الشرعية أن المراد بالشرك في هذا الموضع هو الأصغر دون الأكبر.

ومن أمثلة ذلك: ما رواه أبو داود عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال (الطيرة شرك ثلاثاً وما منا ولكن الله يذهب بالتوكل)، فجملة وما منا إلا، هذه من كلام ابن مسعود كما بين ذلك أهل الحديث ، فهذا يدل على أن ابن مسعود ﷺ فهم أن هذا من الشرك الأصغر لأنه لا يمكن أن يقصد وما منا إلا ويقع في الشرك الأكبر، كما أن الشرك الأكبر لا يذهب الله بالتوكل بل لا بد من التوبة.

م / ( الثالثة : أن من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز موالاته من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب . والدليل قوله تعالى: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ .

=====

المسألة الثالثة مما يجب علينا علمها الولاء والبراء ، أي أن من أطاع الرسول فيما أمر به واجتنب ما نهي عنه ووجد الله في عبادته فإنه لا يجوز أن يوالي وأن يحب المحادون لله وهم الكفار ، بل يقاطعهم ، ويصادمهم ويعاديهم أشد العداوة ، ولو كان من حاد الله ورسوله ابنك أو أبك أو أخاك أو عشيرتك فإن الله قطع التواصل والتوادم والتعاقل والتوارث وغير ذلك من الأحكام .

وقد جاءت نصوص كثيرة تبين تحريم موالاته الكفار :

أ-قال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ) وبطانة الرجل هم خاصة أهله الذين يطلعون على داخل أمره .

قيل لعمر بن الخطاب ﷺ : ( إن ههنا غلاماً من أهل الحيرة حافظ كاتب فلو اتخذته كاتباً ، فقال : قد اتخذت إذأ بطانة من دون المؤمنين ) .

ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعماهم في الكتابة التي فيها استتالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يُخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب .

ب- وقال تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين )

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) أي: إن اليهود والنصارى - وإن اتخدتهم أيها المؤمنون أولياء - إنما بعضهم في الحقيقة أولياء بعض يناصر بعضهم بعضاً، فاليهود يوالي بعضهم بعضاً، والنصارى يوالي بعضهم بعضاً، كما يوالي اليهود النصارى، ويوالي النصارى اليهود ضد المسلمين، كما هو مشاهد الآن في كل مكان من الأرض.

وفي قوله ( وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ) وعيد شديد وتهديد عظيم، أي: منهم في الظاهر، بسبب المعاونة والمناصرة لهم، وقد يؤدي به ذلك إلى محبتهم واتباع ملتهم فيكون منهم ظاهراً وباطناً.

قال ابن تيمية : أخبر الله في هذه الآية أن متوليهم هو منهم ، وقال سبحانه وتعالى ( ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ) فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه .

وقال ابن القيم : إن الله حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى فهو منهم (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) .

ج - قوله تعالى ( لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك هم المنافقون ) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : أخبر الله تعالى أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله ، فإن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينافي أحد الضدين الآخر ، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده وهو موالاة أعداء الله ، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلاً على أن قلبه فيه الإيمان الواجب .

د- وقال تعالى ( ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون . ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون ) .

فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان الحقيقي بالله وبنبيه ﷺ محمد ﷺ مرتبط بعدم موالاة الكفار وتوليهم، فثبوت موالاة الكفار موجب لعدم الإيمان أو نقصه.

قال الشنقيطي : ... وبين في موضع آخر أن توليهم موجب لسخط الله، والخلود في عذابه، وأن متوليهم لو كان مؤمناً ما تولاهم، وهو قوله تعالى ( ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون )

هـ - وقال تعالى ( قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برأؤا منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ... ) .

و- ونهى في موضع آخر عن توليهم مبيناً سبب التنفير منه. وهو قوله ( يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يمسوا من الآخرة كما يمس الكفار من أصحاب القبور ) .

ك- وقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء إنيهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم ... ) .

أي: يا معشر المؤمنين يا من صدقتم بالله ورسوله، لا تتخذوا الكفار الذين هم أعدائي وأعداؤكم أصدقاء وأحباء، فإن من علامة الإيمان بغض أعداء الله لا مودتهم وصدقتهم .

ز- وقال تعالى ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ) .

فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين، وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء .

**قال ابن جرير** (فليس من الله في شيء) يعني فقد برئ من الله، وبرئ الله منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر.

**وقال القرطبي**: أي: ليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء، وهو إذاً من حزب الشيطان وأنصاره.

**ك-** وقال تعالى (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْبَسُوا لَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) .

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ يا محمد بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي والإلحاد في ديني أولياء، يعني أنصاراً وأخلاء من دون المؤمنين، تاركين موالاة المؤمنين معرضين عنها، يطلبون عند هؤلاء الكفار المنعة والقوة والنفوذ، وما علم أولئك السفهاء البلهاء أن العزة لله جميعاً .

جاء في الحديث عن ابن عمر . قال : قال ﷺ ( من تشبه بقوم فهو منهم ) رواه أبو داود .

وروى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قلت لعمر ﷺ: لي كاتب نصراني. قال: مالك قاتلك الله، أما سمعت قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) ألا اتخذت حنيفاً قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه قال: (لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ لأبي ذر (أي عرى الإيمان أوثق؟) قال: الله ورسوله أعلم، قال (الموالاة في الله، والمعادة في الله، والحب في الله، والبغض في الله) رواه أحمد .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول ﷺ ( ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) متفق عليه.  
وقد كان النبي ﷺ يبائع أصحابه على تحقيق هذا الأصل العظيم.

فعن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ وهو يبائع، فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أباعك، واشترط عليّ فأنت أعلم، قال: (أباعك على أن تعبد الله، وتقیم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين).

**قال ابن تيمية**: إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا الله، ولا يبغض إلا الله، ولا يوالي إلا الله، ولا يعادي إلا الله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله.